

# عن الفقر في السعودية

قبل ثلاث سنوات، تناقلت وسائل الإعلام السعودية خبراً يبشّر متابعيها بأن تقديرات وكالة المخابرات المركزية الأميركية تشير إلى أن نسبة الفقر في السعودية وصلت لـ12.7 في المئة، ما يعني أن «الملكة هي الأقل عربياً في نسبة الفقر». ولم يفت الإعلام السعودي الإشارة إلى أنّ السعودية «تفوقت» في هذا المجال على دولة الإمارات التي تعانى، حسب المصادر نفسها، «من نسبة فقر وصلت إلى 19.5 في المئة». لا داعي للتدقيق في الأرقام ولا للإشارة إلى عدم جديتها. فما قيمة الإعلان عن أن السعودية هي أقل الدول العربية في نسبة الفقر، وهي الدولة العربية الأغنى؟ المفارقة تتمثل في أن يكون واحداً من كل ثمانية مواطنين في السعودية فقيراً.

كان لاهتمام الإعلام السعودي بذلك الخبر سبباً واضح يتمثل بإضافته مبرراً آخر لتقديم صورة الملك عبد الله كملك إصلاحي وصاحب رؤية تنموية تولّد عنها الإعلان عن سلسلة من المبادرات، بما فيها مأسسة الحوار الوطني، وبناء الجامعات، والمدن الصناعية، وتعيين عدد من النساء في مجلس الشورى..

الاعتراف بالفقر

في تشرين الثاني/ نوفمبر 2002 زار عبد الله بن عبد العزيز، وكان ولياً للعهد، عدداً من الأحياء الفقيرة في الرياض، فهاله (حسب الرواية الرسمية) البؤس الذي رآه، فأصدر أمره بصياغة «الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفقر». قبل تلك الزيارة، كان أغلب الحديث عن الفقر يتناول مظاهره في بلدان أخرى يأتي منها المهاجرون. مشاهد الأطفال وكبار السن والنساء الذين يتسولون على أبواب المساجد ومقترقات الطرق في مدينة الرياض وغيرها، هي «ظواهر غريبة واّدة» جاءت مع المهاجرين. كان الحديث عن الفقر بين المواطنين في السعودية وبلدان الخليج العربية الأخرى حديثاً هامساً في الغالب وتحيطه شبهة التحريض. وحتى مظاهر الفقر والعوز التي تحزّ الأعين، يتم تصويرها على أنّها حالات فردية تستحقّ استدعاء اهتمام المسؤولين لمعالجتها أو مساهمات أهل الخير. ورغم ذلك، وحتى الآن، لا تخلو الصحف المحلية ووسائل التواصل الاجتماعي من رسائل تستحثّ المسؤولين وتستجدي أهل الكرم لعلاج مريض أو إغاثة أرملة. ويغلب حتى الآن الإنكار الغريزي لحالة البؤس التي تغير عنها صور يجري تداولها في منطديات التواصل الاجتماعي لأمراً في مدينة من مدن الخليج تعهد في صنائيق الرّبالة عما يسعها لإعالة أطفالها.

أعطت زيارة ولي العهد السعودي لأحياء الفقيرة في الرياض إشارة البدء للحديث عن الفقر باعتباره ظاهرة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها في بلد يملك أكبر احتياطي نفطي في العالم. ففي بيوت الصفيح في تلك الأحياء، من المعسمة، ومثيلاتها في المناطق النائية من المملكة، يتكدس فقراء، لم تشملهم خيرات العطفة التنظيمية. وفي هذه الأحياء الفقيرة والمناطق العمشّة، لا يتوافر الحد الأدنى من الخدمات، وبشّير الباحث السعودي الحاذق سامي الدايع في دراسته الهامة الصادرة في 2014 عن «مؤسسة الملك خالد الخيرية» إلى تقديرات غير رسمية بأن «20 في المئة من السعوديين البالغ عددهم 17 مليون نسمة تقريباً يعيشون تحت خط الفقر. وهناك أكثر من 75 في المئة من مواطني الدولة السعودية مديّنين في قروض استهلاكية طويلة الأجل».

# 13 | الحداثة والريع في العراق:

تجلّى اتجاه الاستعمار الحالي لتدمير السدول والأسم في الحروب على العراق، أما سبيل الخروج من الخراب فلا يكفي فيها «الإصلاح» بل تحتاج لمؤتمر تأسيسي.

هل «طرد الشياطين» من عقول الأطفال في غزّة، دعوة للسبيل القويم أم هيمنة على حياة الناس في ظل الخواء؟ ودور المدن الهامشية في الحراك الاجتماعي الجاري في تونس: سياق لم يقطع.

«وسائل التواصل بوصفها انقطاعاً: عن آثار الهلث خلف «لايك» و«شير». وعلى الموقع: محاكمة مؤسسة «نظرة» النسوية في مصر، وشكيب خليل الفاسد عاد كبطل إلى الجزائر، وندوب الحرب على التلامذة في سوريا.



من تحقيق مصوّر عن الفقر في السعودية (مجلة تائم)

### الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفقر

ترافق إعلان الحكومة السعودية عن تدشين «الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفقر» مع وعود كرهها عبد الله بن عبد العزيز بعدما أصبح ملكاً برؤف مخصصات الميزانية لتمويل الضمان الاجتماعي، ودعم الإسكان الشعبي للفئات المحتاجة، ودعم الجمعيات الخيرية. إذ أنّ حصيلة كل ذلك محدودة حتى الآن. فيعد أكثر من عقد على إعلان تلك الوعود، لا يمكن الحديث عن تقليص جدّي لمظاهر الفقر في المدن وضواحيها، ناهيك عن المناطق النائية.

على أية حال، لم تكن الإجراءات التنفيذية للاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفقر سنوذي إلى إزالة الفقر أو تقليص مستوياته إلى حدود مقولة بحيث تستطيع العائلة الحاكمة في السعودية أن تنبأه بها. فلقد توجّحت تلك الإجراءات للتخفيف من مظاهر الفقر والبؤس وليس إلى إزالة أسبابها. وبين أبرز الأسباب التوزيع غير العادل للموارد والثروات في البلاد، واحتكار القرار السياسي بيد بؤرة الحكم في العائلة المالكة نفسها. وهذان السببان وتداعياتهما يعيقان أيضاً حتى محاولات تجميل وجه



النظام السياسي ببرامج تهدف إلى مكافحة مظاهر الفقر وتقليص أعداد الفقراء. وبدلاً من ذلك، تتزايد مؤشرات تصاعد نسب الفقر بأشكاله المتعددة في السعودية جراء القرارات المتتالية التي أعلنت خلال العامين الماضيين لمواجهة عجز الميزانية، والتي أدت إلى إلغاء أو تقليص الدعم الحكومي للمواد الاستهلاكية الأساسية والإنتاج على الخدمات.

### خط الكفاية

على الرغم من الصعوبات التي تواجههم، يسعى الإصلاحيون بين النخب السعودية إلى تنبيه المسؤولين فيها إلى خطورة النتائج الاجتماعية والسياسية والأمنية للزيادة المتوقّعة في أعداد الفقراء بمستوياتهم المتعددة.

وفي إحدى المحاولات الجديدة في هذا المجال، طرح ساسي الدايع، وهو أحد الأكاديميين المعتبرين، تطبيق استراتيجية أكثر واقعية لمكافحة الفقر تعتمد على تحقيق ما أسماه «خط الكفاية» (الذي يمكن تسميته «حد الكفاف»). وهي استراتيجية لا تتطلب تغييراً أساسياً في النظام السياسي السعودي ولكنها قد

# مدينة الحلة بالعراق: أنا مهرجان للخراب

تتظّر مدينة الحلة (100 كم جنوب بغداد) إلى الأفق بثلاثة وجوه:

الأول هو الوجه الأثري وتمثله آثار بابل ومقبراتها من جنتان مملّقة، وطبع أقدم الزمن الأقل وبصانته الذي تركته الأجيال متعددة المشارب حيث عاشت أرقّتها وشماشيلها وما يشبه ذلك من طرّز عميقة الوضع لغامات الأنبياء والأولياء والأجداث النذرة للمتصوّفة والبخّيتين الذين قلمنوها ذات يوم، واتخذوا من حوافّ شمْ الفرات مكاناً للمؤجدة، وصوامع أهدت لكتب المؤرّخين فيما بعد سلاا من جنوح الكلم، وشطحات التفسّط بالبصير، وهي تجري تحت محابر مدججي كتب الرحلات.

الوجه الثاني، تمثله الأبواب الخلفية للنهارات التي تنفتح على بساطت الأرض، وهي حافلة بالبساتين وصفوف النخيل التي تُسوّر عيون المتلقّفين أبعد من أربنة الأنف وهم يمدون البصر صوب اطرافها.

أما الوجه الثالث، فهو القلب الذي يتوسط بابل الوثنية القديمة، وبابل الأرياف والبساتين. وهو عبارة عن مرافق مدنية وأسواق ومعامل وصولاً إلى تفتّحات معمارية بنيت بالعاقب، وعلما مشربات من فريشة عمارة المدعّاة العراقية لأصداء أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين.

### إيقاع المحيرة

مدينة الحلة، كغيرها من المدن العراقية المثيرة لإغراء التأمّل والكتابة، انعكست صورتها بتكوّيناتها الثلاثة السابقة في جهود أعلامها بمختلف اختصاصاتهم الجغرافية والتاريخية والجمالية والاجتماعية.. ويتقسم هؤلاء الأعلام بين الرواد والبهانة المحدّثين الذين رسموا الأفق الثقافي للمدينة. الدكتور الأثاري طه باقر (توفي 1984) الملقب بـ «قارئ الطين» وهو متخصص بالآثار، أفرد مؤلفات وكراريب تنعكس في صورتها بابل بوصفها أثرًا من آثار الحضارة الوثنية، وترثات من الأساطير والأطلال اللغوية القديمة التي أنتجت الطبقات الاجتماعية الموقّعة بالقدم. بموازاة ذلك، ترك لنا الدكتور أحمد سوسنة (توفي 1982) كتباً عن الحلة بوصفها جغرافيا ماثية، قارنًا إياها فكرّة جارية يبدأ بها كيان جغرافي يعرف بـ«مدن الفرات الأوسط»، إلى جانب الديوانية وكربلاء والنجف، فكتب متحدّثا عن الحلة الأنهار والبساتين «وادي الفرات»، «جزأين، وسدّة الهندية»، باللغة الإنكليزية). وإذا لقيطه طه باقر قارئ الطين، فهل يمكن تليقبح أحمد سوسنة بقارئ العذوية، ولاسيما أن شط الفرات الذي تلام وتصحو بجانبه مدينة الحلة أسمى عدباً فقط في كتب التاريخ والتأمّلات الهندسية والرحلات! ومن الأعلام المدنية أيضاً في الدرس النقدي والأدبي الدكتور علي جواد الطاهر

القبائل وخيل المبيشيات وهم يفتتحون دكاكينهم السياسية ويقدمون للسكان عقاقير الرموز المتوفرة دائماً في صيدلياتهم الشريرة المكتوب على جبينها «هذا من فضل ربي!» مدينة الحلة اليوم في قطعة مع نفسها وتاريخها، وروحها الحيّة. إلى السراييد المظلمة تم قذفها وميت على جرف شطها الوادع، عارية إلا من آثار كدمات الغتصاب المادية والروحية.

### تلك البطاح بين بغداد والحلة

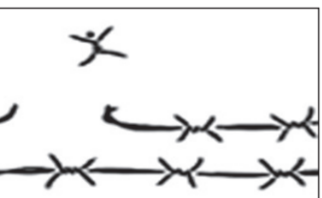
من خلال هذه المدينة تتفرّع دلنا الطرق للنازل إلى بقية مدن الجنوب. وبصورتها التي يطنّ الخراب حولها يمكن لمسها كإحدى البوابات الرميضة وهي تؤدي بك إلى بحبوحة العصور الوسطى وعوالمها الحافلة بمناجح مختلفة من الديكتاتوريات الروحية الرائعة! إنها اليوم بالضد من هذه الصورة التي جددنا عنها خيال الرحّالة أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير في كتابه المشهير، «رحلة ابن جبير»:

«والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها، في بساطت من الأرض وعمائر، تتصلل بها القرى يمينا وشمالا، ويشقّ هذه البساطت أغصان من ماء الفرات تسرب بها وتسقيها، فمحرّتها لا حد لتساعه وانفساحه، فللعين في هذا الطريق مسرح انشراح، وللنفس مسرح انبساط وانفساح، والأمن فيها متصل، بحمد الله سبحانه وتعالى».

الخريطة التي تحدث عنها ابن جبير، هي بالضبط اليوم العنوان والتفاصيل الربعية التي أكلت للارة منذ 2003 بسبب سيطرة ذبأحي القاعدة، ومجلس شوري المجاهدين، وكانت مكاناً لخطوط الزخم الناري الشرس والمتبادل بين الإرهابيين وسياراتهم المفخّخة وبين عناصر الشرطة، وقد خلفت تلك المعارك وحفلات الشواء والتذبح ندوباً جسمية على تلك البطاح بين بغداد والحلة. فكثير من البساتين هجرها أهلها وتحولت إلى سباح تلتّحي بالملّح والرياح، وتتصلّح كإسفنجة تنام في داخلها دماء العزائم الأخلاقية والسياسية والاجتماعية. ماذا تقول اليوم هذه المدينة عن نفسها؟ لديها كثير من العويل والصراخ، ولديها ما تصف به نفسها عندما تهدأ: أنا مهرجان للخراب! ولكن صدقتها الطويلة مع الخراب أثمرت أيضاً هباشاً إنسانياً عنيدا، يتحرك اليوم داخل الشوارع الخلفية، شاحبا وضئيلها وهو يقاوم «زمن القتل». هذا العلمش يعي بأنه يعيش داخل مصحّة كبرى، تحمّل سيماءه كثيرا من الندوب والتناقضات، وأحيانا دائمة يهدّد البرابرة بتكشيرة ذات نفس طويل من الشنائم.

### ميثم الحربي

كاتب من العراق



## مجرد بازار؟

لو أحسناً الظن، فسنعتبر قضية جزيرتي تيران والصنافير جزءاً من حسبة عامة تحكمها فلوس كثيرة: ودائع ومشاريع كهراء وتطوير بنى ومؤسّسات، واستثمارات وجسور، ونفط وغاز، وحتى هيات لوجه الله.. لو أحسنا الظن، واعتبرنا في النظر إلى الموضوع بؤساً أحوال مصر وانتشار الجوع والفاقة في شعبها، وسابق الفضل والسخاء السعودي، خلال السنوات الثلاث الماضية على الأقل، والإغراء العظيم المتمثّل بـ16 مليار دولار توظيفات ستقدّم عليها السعودية في أم الدنيا، و700 ألف طن يتروّل بالشهر تورده لها، بما قيمته 23 مليار دولار في خمس سنوات (مقبلة)، تُرد أثمانها بفائدة زهيدة (2 في المئة) وتقسيط مريح (على 15 سنة).

لو، فيمكن أن «نتفهم»، ولو غرضنا الطرّف عن السجّال حول الوثائق والتاريخ، المستعر منذ الإعلان عن «رد» الجزيرتين «لصاحبهما»، والأيمان المغلّطة للحكومة المصرية وأتباعها حول صحة الملكية السعودية وعيب نكران الأمانة.. لو ابتلعنا كل ذلك، تبقى مسائل لا يمكن تمريرها.. وألها صوت جمال عبد الناصر الملجلج حول مصرية تيران (التي تبعه 6 كلم عن ساحل سيناء الشرقي)، حين أعلن إغلاق مضيّقتها والسيطرة على خليج العقبة في 1967، فأصبح الحدث يؤرّخ رسميا لبدء حرب 5 حزيران. كان ذلك بوجه إسرائيل، التي ما لبثت أن احتلت الجزيرتين ولم تغادرها إلا في 1982، إثر اتفاقية كامب دافيد. وهي كانت فعلت الشيء نفسه في العدوان الثلاثي 1956. وتشير كل الصحف الإسرائيلية منذ أيام إلى موافقة إسرائيل على الاتفاق المصري السعودي، واطمئنانها له، والأنكى، علمها المسبق به (مستشهدة بتأكيدات واردة في صحيفة الأهرام المصرية، وبتصريحات وزير الخارجية السعودي).. وهو العلم الذي لم يتسنّ للشعب المصري الفؤز به، وقد أسقط من كل حساب.

.. ولتاينها ذلك الجسر المخطّط له أن يمتدّ لـ32 كيلومترا فوق البحر الأحمر على علو شاهق، والذي ينوي الارتكاز في أساساته البحرية على الجزيرتين. وهو سيكلف مئات ملايين الدولارات، وسيدمر البيئة والشعاب المرجانية النادرة. وبغض النظر عن رطانة خطب العظيمة حول إعادة وصل آسيا بأفريقيا الخ.. فيظنّ، بلا حسن ظن، أنه نظرا لضعف التبادلات التجارية والبشرية بين البلدين، فوظيفة الغلغلية هي النقل السريع للقوات العسكرية المصرية إلى السعودية عند الحاجة، كما انتقلت القوات السعودية إلى البحرين في 2011 عبر «جسر الملك فهد». ألمجرد الإطمئنان النفسي أم هي حروب تليها حروب يخطط لها؟

.. ولو تتخذ هذه القرارات السيادية والاقتصادية والجيوسراتيجية في غلظة من الناس.. فماذا يتبقى لهم؟

### نهلة الشهال



10 مليارات دولار أضعافها البنك المركزي في العراق من احتياطي العملة من خلال نافذة بيع الدولار، حسب ما صرحت به اللجنة المالية، متهمه بعض المصارف الأهلية بالتحكم بقرارات البنك المركزي.

## مواقع / إصدارات



مؤسسة التعاون الفلسطينية

## مبادرة لتمكين الفلسطينيين

## في الداخل والشباب

«في العام 1983، وفي ظل الواقع الصعب الذي واجهه الفلسطينيون في الوطن وفي الشتات جراء الاحتلال الإسرائيلي، قامت مجموعة من الشخصيات الاقتصادية والفكرية، الفلسطينية والعربية، بالمبادرة إلى عقد لقاء في العاصمة البريطانية لندن والتداول في فكرة إنشاء مؤسسة فلسطينية قادرة على دعم وتعزيز صمود الشعب الفلسطيني». هكذا ولدت مؤسسة التعاون الفلسطينية التي تعرف عن نفسها كمؤسسة أهلية غير ربحية، تعمل على تمكين الإنسان الفلسطيني وتعزيز الهوية والقيم الإنسانية، دعماً للتنمية المستدامة للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية والقدس، وقطاع غزة ومناطق 1948، وكذلك في مخيمات اللجوء في لبنان».

تحت عنوان «مسيرة مستمرة من الدعم المتواصل» تعدّد مؤسسة التعاون بعض المشاريع التي تساهم فيها في فيديو على يوتيوب، ومنها: ترميم البلدات، الحفاظ على الإرث الثقافي والتراثي، العمل على دمج الأطفال ذوي الحاجات الخاصة بالمجتمع وتقديم العلاج، العمل على إطلاق التحف الفلسطينية، برامج زراعية في غزة، أنشطة رياضية وتثقيفية للشباب، مشروع تشغيل الشباب لإدخالهم إلى ميادين العمل، أكاديمية الدراما، دورات لغة وموسيقى وغير ذلك..

على صفحة الموقع الخاص بالمؤسسة، وتحت عنوان «برامجنا»، تقع كل هذه النشاطات وغيرها في تبويبات ستة: التنمية المجتمعية، الثقافة «تعبير»، التعليم، إعمار البلدات القديمة، برنامج رعاية الأيتام، تمكين الشباب، الموقع سهل التصفح وواضح ويبرز روابط للشبكات العربية والأجنبية التي يتعاون معها الموقع، ولتفرعات عمله في كل من مخيمات لبنان والتحف الفلسطينية.

وقد منحت المؤسسة عام 2015 نحو 250 ألف دولار جوائز لمؤسسات أهلية وأفراد مساهمين بإنجازات متميزة في عملية النمو الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لبناء الشعب الفلسطيني، موزعة على خمس جوائز مختلفة.

برنامج الثقافة «تعبير» على سبيل المثال، يُعنى بالتصدي لعملية سلب الهوية الثقافية الفلسطينية وتهديدها الدائم والحد من مساهمتها في التفاعل والحوار الحضاري على المستوى العالمي. فيشجّع «تعبير» الإبداع الفلسطيني ويمنح المبدعين الأدوات اللازمة لتنفيذ أفكارهم وعرضها محلياً وعالمياً، بالإضافة لتوفير مجال علاجي من تأثيرات الحروب من خلال التعبير الفني الذاتي للأطفال والشباب.

ومن إنجازات برنامج «تعبير» في السنوات القليلة الماضية: تأسيس استوديوهات متعلقة بين عدد من المدارس، إقامة عروض فنية، وتدريب نحو ألف طالب وطالبة على إعداد الرسوم المتحركة وصناعة الدمى.

«رأيت بأم عيني إبداع وشغف أحمد بتحريك الدمى أثناء الدورات التدريبية، فقد بدأ أحمد يعمل من البيت وأنتج فيلمه الذي يُسمى «أبو العربي» والذي يعكس مشاعره تجاه الغارات المتكررة من قوات الاحتلال ضد مخيم «الجزول» لاجئين، إنتاج أحمد الرائع أدى إلى تعيينه مديراً...» يقول الأستاذ ناصر، أحد الإساتذة المتدربين مع «تعبير» في شهادته عن نتائج هذه الدورات..

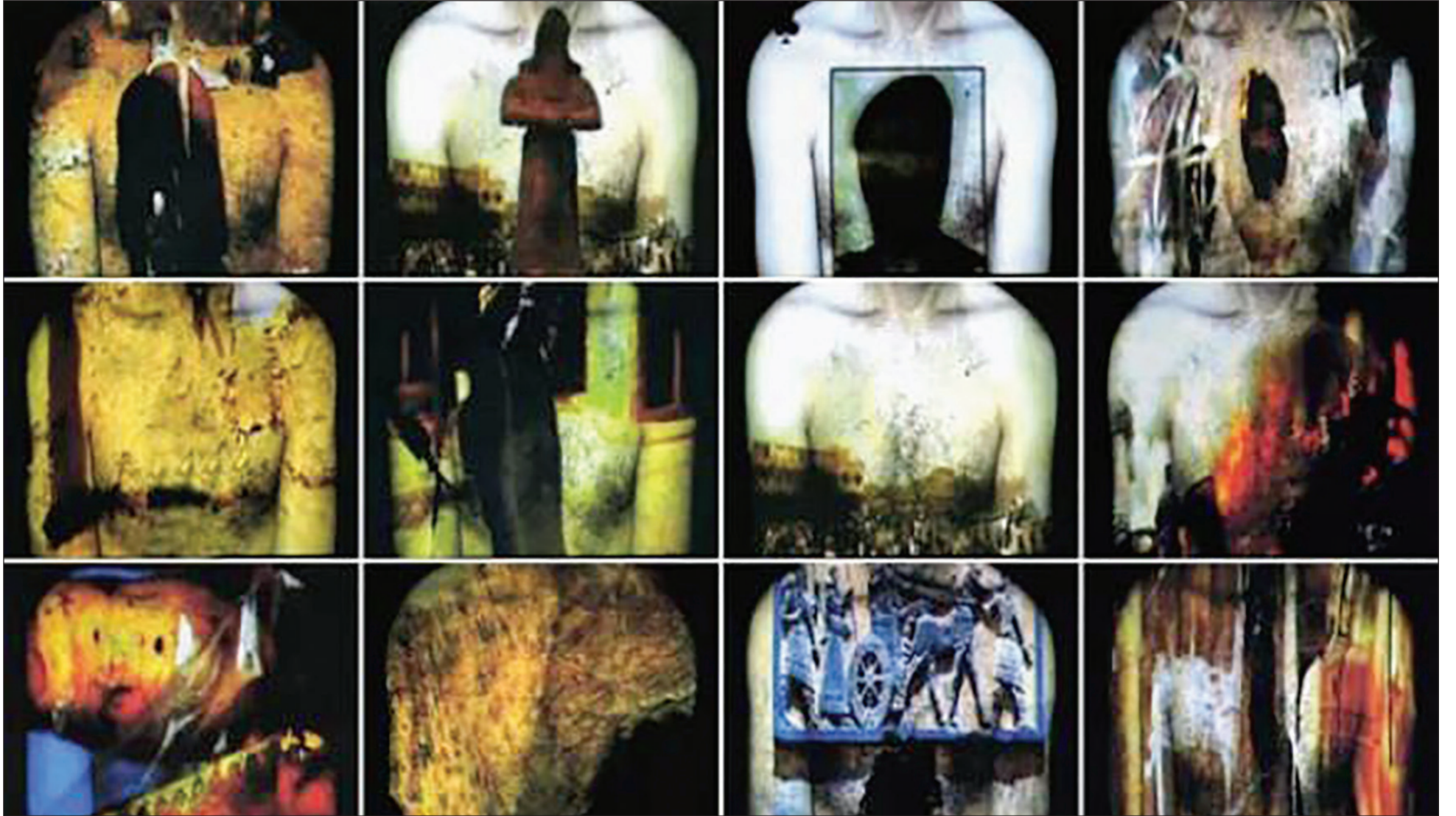
أما مشروع «التحف الفلسطينية» فهو أحد أهم وأضخم مشاريع المؤسسة، يعمل حالياً على جمع أرشيف رقمي للصور والفيديوهات والعناصر التراثية والثقافية الفلسطينية، وصناعة شبكية إلكترونية يمثل كل طرف فيها منبراً فلسطينياً داخل الشتات، تنظم المعارض وتبقى متصلة بالفلسطينيين الذين يتذمر وصولهم إلى مقر التحف. مبنى التحف الضخم قيد الإنشاء في بيرزيت.

ومن المدن الرئيسية التي سيعمل فيها التحف: القدس، حيفا، غزة، عمان، بيروت وغيرها..

في الفيديو التعريفي بالتحف وعمله، نرى مشاهد أرشيفية من أعوام الاحتلال الأولى والتفريغ الفلسطينية: «اليوم، فلسطين الفكرة ما زالت قوية وحاضرة، لكن أساليب التعبير عنها غالباً ما يتم قمعها وتغييرها، هدفاً رفع الصوت الفلسطيني عالياً أينما كان، في كل أقاليم الأرض». المشروع بغاية الأهمية بحيث يطمح ليتحول المنصة الأولى للصوت الفلسطيني والانتشار العالمي الذي يضمن، أو يسهل على الأقل، طرح القضية الفلسطينية بأبعادها الثقافية والتاريخية والإنسانية قبل أي شيء، للقاصي والداني.

http://www.welfareassociation.org/ar

## العراق: إشكاليات الحداثة والريعية



صديق كوشب الفراجي - العراق «آثار الحرب»

## الدولة دائماً معلقة وبرأية

مشروع الحداثة، مشروع الدولة الحديثة هو الذي استُهدف من قبل الاحتلال، حل الجيش وحلّت المؤسسات الأساسية، والمخابرات والوزارات... في بقية الدول العربية لم يجر استهداف الدولة، بقيت يعجزها ويجرها. هناك تباينات بنوية ما بين العراق ومصر مثلاً. في مصر الدولة مهيمنة على المجتمع ووجودها أساسي وأصيل، والوطنية المصرية هي وطنية البيروقراطية، بينما الحضارة العراقية لم تقم على هذا الأساس، بل على أساس الانفصال ما بين الدولة والمجتمع، والدولة دائماً معلقة وبرأية». وعندما تضرب الدولة، يصبح المجتمع هو مجتمع الإل - دولة في العراق. هذه أشياء بنوية. عندما حصل الهجوم على العراق كانت تجربة الحداثة متنتهية. انتهت من داخلها، هي قضت على نفسها. صدام حسين كان التمثيل الفعلي للعلمانية الحديثة في العراق. جاء حزب البعث، وركائزه النفط والعشيرة والحزب العائدي، وقد قام في الأساس على تغيير البنية الاجتماعية، وأصبحت الدولة من خلال الربيع هي الموظف الأكبر في المجتمع. ألقى الطبقة العاملة وأصبح اسمها «طبقة المستخدمين»، ولم يعد للريف دور وأصبح يعمل لدى الدولة، والديناميكيات القديمة المحركة لم تعد موجودة. صدام حسين دمر البنية الأساسية ودمر الآليات الموروثة من أيام سومر لحد الآن. هذا أخطر ما في صدام حسين.

الآن لم يعد هناك من مركزية، القوى هي قوى ما - قبل دولة، مفككة، بحيث أن كل واحد هو دولة، وعنده مصالحة الخاصة، وهي متخصصة فيما بينها داخل السلطة.. الآن هناك سلطات متعددة تحولت الدولة إلى غنيمية، يعني يأتون فيحصلون على أموال من النفط ويأخذون الجزء الرئيسي منها لهم ولأولادهم وأقاربهم ولبعض الموظفين والحمايات الخاصة..

## مجاهاة الوضع: إصلاح أم مؤتمر تأسيسي؟

هل يوجد شيء مجابهة للشكل الطائفي؟ لا يزال المجتمع في مرحلة السخط والتذمر، وهو غير متشكل أو غير متبلور سياسياً. لا يوجد في العراق مشروع سياسي مقابل أو مضاد لـ «العملية السياسية». حتى القوى التي تظاهرت الصيف الفائت هي جزء من العملية السياسية، والحزب الشيعوي هو جناح إصلاحي في العملية السياسية. كذلك منظمات المجتمع المدني، المشروع السياسي الوحيد الجدير هو الذي أطلق في العام 2003، وهو مشروع «المؤتمر التأسيسي». قلنا وقتها إن هذه الدولة انهارت والبلد متعدد الطوائف والقوميات.. فلنعلم عن مؤتمر تأسيسي للعراق يحضر فيه ممثلون عن كل القوميات وكل الطوائف ويتناقشون حول صيغة النظام الذي يريدون العمل فيه. قد لا يكون هذا شكل الديموقراطية الأفضل، لكنه الصيغة التي تضمن السلم الأهلي، وقيام نظام متوافق عليه حتى نضع أرجلنا على العتبة الأولى. ومن بعدها نسعى إلى تطوير هذا النظام. أطلقنا هذا المشروع وأعلننا عنه في الندوات العلنية المناهضة للعلوة في 2003، وذهبتنا إلى مؤتمر جاكارتا لقوى المناهضة للحرب، وحتى إلى جامعة الدول العربية، وعقدنا اجتماعاً موسعاً في بيروت تمهيداً لمؤتمر تأسيسي. بعد ذلك اعتقل قسم من المشاركين في المؤتمر واعتزل قسم منهم، وبعضهم كافأه الأمريكان على تركهم للمؤتمر. الآن يمكن للسنة والشيعنة أن يشاركوا في تأسيس كهدا، فقد نضجت ظروفه، حتى في كردستان أصبحت الأمور مختلفة وحركة التغيير ممكن أن تدخل في مثل هذه الصيرورة، وبقية المجموعات ممكن أن تنتهي لوجود خيار آخر. المقومات التي من الممكن أن تسند هكذا اتجاه وتدعمه تحتاج إلى وقت طويل.. أما التظاهرات فليست مشروعاً لأن مشروعها هو

أدى الاحتلال الأميركي للعراق في العام 2003 إلى سحق ما سمي بالدولة الحديثة التي أقامها الإنكليز في العام 1921، التي وحدت البلاد في حينها، وتمثلت بها مظاهر الحداثة. انهارت هذه الدولة وانهار معها كل ما بُني فيها من مؤسسات في مرحلتها الأولى (1921 - 1958) والثانية (1968 - 2003)، ولم يعد فيها إلا أطر محدودة، وهذا أتاح فرصة لقوى ما قبل الدولة أن تبرز إلى الواجهة وتصبح سائدة ومتحكمة بالأمور. هذه القوى ليس لديها مشروع، وهي قوى منخرمة، هُزمت أمام نظام صدام حسين وخرجت من الفعل السياسي، وأصبحت ملحققة بقوى إقليمية أو دولية. مثلاً في العام 1992 ظهر «المؤتمر الوطني العراقي»، بعلاقة بالأميركان وأصبح واجهة للاحتلال، ولكن لم يكن لدى هؤلاء مشروع. وحزب الدعوة كذلك ليس مشروعاً للعراق، ولا يريد أن يبني مشروعاً للعراق. هناك تصورات إسلامية مأخوذة من الماضي لا تناقش الأمور القائمة الآن، وإلى أين يسير البلد، هذه هي حال العراق الآن. ولا توجد فيه سلطة بذاتها مركزية، هناك سلطات عديدة، وإنتاجية فيه صفر. كان الإنتاج المحلي في الثلاثينات يغطي 95 في المئة من حاجة المواطن. وفي العام 1980 حين قامت الحرب مع إيران كانت 60 في المئة من حاجة الفرد تُنتج محلياً. بعد ستة من تلك الحرب، وبمعنا ذهبت اليد العاملة إلى جهات القتال، تراجعت هذه النسبة إلى 50 في المئة. الآن الإنتاجية صفر في البلاد يعتمدون على بيع النفط ويتصرفون بمنطق الغنيمية، ولا يهتمون الوطنية ولا الدولة ولا الصالح العليا. كل واحد يفكر بالمصالح المحدودة الضيقة، ككشירתه، جماعته، حزبه، منطقتة، وهكذا...

## الفارق مع الاستعمار القديم

قام الاحتلال الأميركي للعراق في زمن تدمير الدول وتدمير الأمم في إطار العولمة، بينما في الماضي قام الاحتلال الإنكليزي على أساس مفهوم بناء الأمم، والدليل أنه من بلد مفتت مثل العراق وموزع على ثلاث ولايات، حوكة بالقدرة والإكراه إلى دولة. الزمن الكفائي يتطلب أن تفتتح هذه الدول وأن تجرأ، وهذا ما حصل في العراق. والآن المنطقة كلها معرضة لتلك التجربة، والاحتلال الأميركي للعراق حصل في هذا الإطار، وقد بدأت المنطقة تعيشه. ليس هناك من أسباب موضوعية أو مادية ستؤدي بالربيع العربي إلى النتائج التي يدعو لها، ولذلك سارت الأمور بشكل عكسي، وليس هناك من أسباب مادية ولا موضوعية ستؤدي إلى بلدان ديموقراطية أو تجارب ديموقراطية.

العراق كان البوابة الأميركية لما يحدث من تفكيك للمنطقة بشكل عام، طبعاً هناك قوى محركة. هناك نفوذ إسرائيلي سعى في هذا الاتجاه، لأن هناك خشية من العراق لأسباب كثيرة. العراق خاض الحروب ولديه جيش قوي وإمكانيات. وهو بلد ممكن أن يتطور من ضمن آلياته الداخلية بغض النظر عن السلطة. في الثمانينيات، وإذا تكلمنا بالإحصائيات، فوكالة الصحة العالمية قالت إن العراق في السنوات القريبة سيصبح لديه إمكانيات طبية بمستوى أوروبا الجنوبية كإيطاليا وإسبانيا، وكان يحكى أنه يمكن الجيش الرابع في العالم. وهذه العظيمة عندما تتوفر في بلد لديه نطق وإمكانيات وطلاقة بشرية، وبإمكانه أن يتطور، ولديه إمكانيات عالية ومدخول.. فمن الممكن أن تحصل فيه نقلة. وفي هذه على الأقل فهو ملاحق من الإسرائيليين. والسباق الأهم من ذلك هو السباق الأميركي الذي ذهب إلى العراق في لحظة اختلال التوازن العالمي: انتهى الاتحاد السوفياتي وأصبحت أميركا هي الدولة العظمى الوحيدة في العالم. كم بلد هوجم ودمرت دولته في العالم؟ العراق الوحيد بالتأكيد، إذ الأهداف في أفغانستان كانت مختلفة جداً.



## بخاخ الذاكرة!

من وحي جورج أورويل في روايته 1984، تخرج لافتة مخطوط عليها: «لا ينشأ الاستبداد في قمع الثورات، بل تبدأ الثورات من أجل تأسيس الاستبداد!». هذه لافتة تناسب الثورات المضادة والحوارات الداخلية بين أهل التغيير والإصلاح. يمكن أيضاً أن تخطر في بالك وأنت تستمع إلى خطاب سياسي عراقي معاصر يتحدث عن أقوام فضائية تخطط تخريب ما يسميه بشروع «الإسلام السياسي».

لكنك تضبط خيالك وتستعيد وعيك، فلا وجود لتلك الأقوام ولا وجود لمشروع إسلامي سياسي عند ذلك السياسي. لكنه بحاجة إلى «خطر» يحرس من خلاله سلطانه. ومن لا يشعر بالخطر يحضر روح الخطر! يحدث كل ذلك في ذكري ساقطة تمثال صدام حسين وتشظيه في الذاكرة مثل شظايا صغيرة، ضائعة و منسية في الجسد... ما زال الجراح يبحث عنها بلا أمل.

## عبد الأمير الركابي

كاتب من العراق

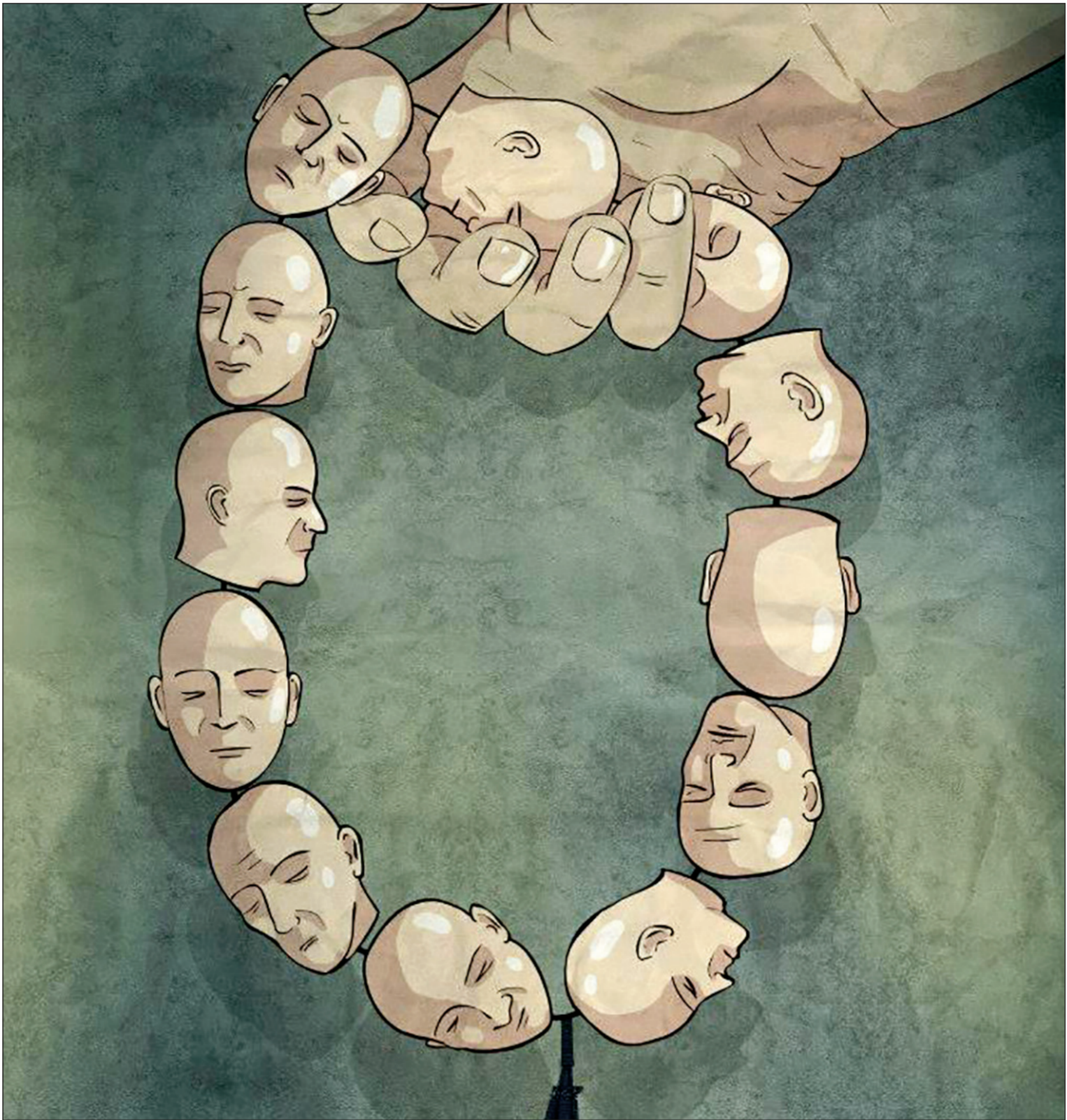
\* حوار لإذاعة الوضع و«السفير العربي» أجراه عمر الجفالي  
الحوار الكامل إذاعياً وكتابياً على موقع «السفير العربي»





**11** مليار دولار خسرها «الصندوق الغربي للتقاعد» من احتياطه المالي وأصوله النقدية بين عامي 2014 و2016، في حين رفضت النقابات المركزية تحميل الأجراء والعمال وحدهم مسؤولية إنقاذ صناديق التقاعد التي عانت من الفساد وسوء التدبير والمحسوبة وضعف الرقابة لعقود طويلة.

## عندما طردت «حماس» الشياطين من غزّة



سلافة حجازي - سوريا

منذ أيام، في صبيحة السادس من نيسان / أبريل الجاري، استفاق أهالي قطاع غزّة على مشهد فظيع. فقد نشرت إحدى الوكالات الإخبارية المحلية تسجيل فيديو قصيرا يظهر موظفا حكوميا من وزارة الأوقاف الفلسطينية يحاط بمجموعة من الشبان المتحجّين الذين يلبسون الجلابيب، وهو يحطّ في ساحة مدرسة أمام حشد من الطلاب داعيا إياهم للتوبة إلى الله والعودة إلى طريق الحق وترك المعاصي. ولم تكد تضي لحظات قليلة تخللتها عبارات التكبير وأنغام الموسيقى الدينية الحزينة، حتى بدأت طلائع الطلبة الثائنين الذين كانت تنهمر الدموع من عيونهم بغزارة بالتقاطير إلى الموظف وجماعته من المشايخ الشبان الذين كانوا يستقبلونهم بالأحضان. غرق المكان بالعاطفة الحارة، تعالت الأناشيد الحزينة، هم بعض الطلاب بالسجود على الأرض، وأعلن الموظف أن الشيطان طرد شرّ طرده من قلوب هؤلاء الأطفال وأنّ الله ورسوله فرحان بهما أيّما فرحاً!

### الأيديولوجيا الخلاصية

الفيديو الصادم للكثيرين انطوى على مستوى غير مسبوq من الإسفاف المزوج بالترهيب. لكنّ المتابع لأخبار القطاع في الفترة الأخيرة يعرف أن وزارة الأوقاف أطلقت مع جمعيّات شبابية سلفية، يغلب عليها الطابع الوهابي، حملة واسعة النطاق تحت اسم «الملتقيات الدعوية»، الهادفة إلى هداية الناشئة وإعادة من ضلّ الطريق منهم إلى جادة الصواب. وفي واقعة أخرى سجّلها أهالي بعض الطلبة في مدرسة ثانية مثلاً، جرى وضع طالب في كفن أمام زملائه في ساحة المدرسة وأهيل عليه بعض التراب لوعظ الأطفال عن أهوال العذاب الإلهي الذي سيغال الأتقياء الخالية قلوبهم من الإيمان والتقوى! لماذا تُورق الشياطين هؤلاء من «حماس» إلى هذا الحد؟ ولماذا وصلت غزّة إلى هذا المربع البائس؟ وما الذي يعنيه مشهد التوبة والدموع في السياق الأوسع لمآلات مشروع الإسلام السياسي كما جسده الأخوان المسلمون؟

يقوم جوهر مشروع الإسلام السياسي على أيديولوجيا دينية خلاصية تستهدف بناء المجتمع المسلم من خلال الدعوة، ونقله إلى مرحلة جديدة تتجسّد فيها سيادة شرع الله على الناس. من هنا، فقد كانت «الأسلمة» حجر الزاوية في استراتيجية جماعة الأخوان، عبر مؤسسات التعليم والإعلام، مستفيدين من أموال الربيع النفطي والتبرعات لإنشاء اقتصاد خاص عماده المكتبات رخيصة الثمن التي كانت تروّج لنظريات إسلامية في المعرفة والعلوم، كما تجسّد في دخول مناهج «الاقتصاد الإسلامي» إلى الجامعات وانتشار خرافة «العجاز العلمي للقرآن»، في أوساط واسعة من المتلمّذين.

وبالإضافة لذلك، جعل الإسلاميون إضفاء الطابع الإسلامي على تفاصيل الحياة اليومية واحداً من أكبر استثماراتهم، وذلك من خلال الدعوة إلى لبس الحجاب، والتشدد إزاء مسألة اختلاط الجنسين، والعمل لتكثيف السيطرة الرمزية على الفضاء العام عبر إظهار الشعارات الدينية والصور والرايات في كلّ مكان يُمكن الوصول إليه.

الذي جرى في غزّة مؤخراً يُمكن تسجيله من هذا المنظور إذاً كفضل جديد من فصول الاستراتيجية التقليدية الهادفة إلى الأسلمة. لكنّ هذا لا يمنع في الوقت نفسه من التذكير بأن عملية الأسلمة تجري قبل كلّ شيء في سياقات سياسية واجتماعية محدّدة، وأنّ تغير هذه السياقات يأتي مقدّار، أو دخول عناصر جديدة عليها، سيعمل في النهاية على تغيير في وظائف عملية الأسلمة ذاتها.

### ضبط المجال الديني

في السنوات الماضية وقع تغييران مهمان، الأوّل أن «حماس» تحولت منذ سيطرت على غزّة عام 2007 إلى سلطة تُدير دُرّيّة من المؤسسات البيروقراطية التي تحفظ الأمن وتجيّ الضرائب وتنظّم أحوال الناس

الكثير من البرامج الدعوية ومشروعات تحفيظ القرآن، ووضعت آلية لضمان السيطرة على أكبر عدد من مساجد غزّة من خلال التجديد الأسبق لموضوعات الخطب المسموع فيها، وتحديد الخطباء المُتمسّدين المسموح لهم بالصعود إلى المنابر، وخاصة مع تصاعد جاذبية أفكار المجموعات السلفية الجهادية التي ارتكز خطابها بشكل أساسي على لوم «حماس» لعدم تطبيقها للشريعة. وعلاوة على ذلك، لم تمنع الوزارة نفسها من تبني حملات مُثيرة للجدل أحياناً، مثل حملة «ترسيخ القيم والفضيلة» التي أطلقتها في شباط / فبراير 2013 لمكافحة ما أسمته

ولأنّ «حماس» لم يعد يسعها التراجع عمّا ذهبت فيه، دعوتها خطاب مظلومية جذاًبا سحبت منها بالكميل مع وصولها إلى السلطة، فلم يكن أمامها للحفاظ على تماسكها سوى إعادة تدوير بضاعتها الدينية القديمة لإرضاء واحتواء هؤلاء الذين خاب إلمهم وأدبهم، وبدأت تواجز المنزلة على جماعتهم الأم تكبر في نفوسهم يوماً بعد يوم.

نشطت وزارة الأوقاف في غزّة منذ العام 2007 بشكل خاص في عملية إعادة ضبط المجال الديني من خلال إطلاق

الدينيّة المختلفة. وتلك كانت لحظة فارقة لأنّها البداية الفعلية لإفتراق النموذج الحالم الذي جرت تربية الألاف على اعتناقه، عن النموذج الذي بدأ يظهر في الواقع الحيّ. اكتشف مريدو الجماعة مع الأيام أنّ الشريعة لن تُطبق، وأنّ جماعتهم النورانية لن تمأ الأرض علاً وقسطاً، لأنّ أصحاب الحظوة فيها قد بدأوا باستغلال سلطتهم أبتشع استغلال ليأركموا المزيد من المال عبر جباية الضرائب والانتزاعات في أعمال «البنزين»، والاستيلاء على الأراضي العامة، وتشجيع أنماط استهلاكية جديدة من التذبير، وتحويل العمل الخيري إلى مجرد ستار لكل هذا.

العادات الغربية الداخلية على مجتمعا من ملابس غربية غير ملتزمة وقصّات الشعر الإجنّبية الغربية»، وهي الحملة التي يمكن النظر إليها كصحاولة لجارة الضغوط المتزايدة على الحكومة من قبل قواعد «حماس» الأكثر سلفية لتبني سياسات أكثر تشدداً. وبهذا المعنى، فقد واجهت «حماس» فشل الأسلمة بالزيد من الأسلمة، وراحت هذه العملية تكتسب أكثر فأكثر وظيفة «الميكانيزم الدفاعي» بدلاً من وظيفة التعينة الموجحة لإستقطاب المزيد من الأنصار التي كانت تقوم بها في السابق.

التغير الثاني كان في التطور النوعي والانتشار الواسع لوسائل التواصل الإلكتروني والرقمي. فقد أدى هذا إلى إحداث صدع كبير في منظومة احتكار مشروع الإسلام السياسي لجزء مهم من عملية إنتاج الخطاب الديني في المجتمعات الإسلامية، بعد أن أصبحت النوافذ على العالم أكثر عدداً وأوسع رحابة، وغدت الأرضية أسهل لنقاش القضايا العامة. وقد أعطت هذه الموجة المستمرة من انتشار الإنترنت في الوقت نفسه الفرصة للمناقسين التقليديين للأخوان أو للجماعات التي خرجت من عباءتهم بغض النظر عن الاتجاه الذي اختطته لإحقا.

منابر كثيرة للترويج لإفكارها وبنها في أماكن جديدة لم تكن تطالها من قبل. وراح فغان التكنولوجيا مع الوقت يجعل من «تعليب» الخطاب الديني في صورة منتجات أثيرية متشخّبة (مثل تغريدة على «تويتر» أو دءاء على «الفايسبوك») عملية أكثر سهولة، وهو ما فتح الطريق لدخول لاعبين جدد إلى الحلبة. فلم تعد الدعوة إلى الله بحاجة الآن إلى علم شرعي أو قدرات استثنائية في الخطابة والبلغ بل إلى امتلاك الإكسسوارات الدعوية اللائمة، والسوق قد أصبح مشبعاً بها تماماً.

ولذلك، فقد كان لافتاً أنّ الحملة الأخيرة لوزارة الأوقاف استلمت بشكل كامل أساليب بعض الدعاة السعوديين الجدد التي ازدهرت خلال العقدين الماضيين، والتي لا تُركّز على مضمون الخطاب الوعظي نفسه بقدر ما تُركّز على «مشهدية» الحدث الذي تجري عملية الوعظ فيه. فالدعاة هنا لا يطرقون أبواب المنازل ولا يلتقون بمريديهم في حلقات المساجد المغلقة، ولكنهم يحشدون الناس في الساحات العامة ليلقوا فيهم خطبا عاطفية تطغى عليها المؤثرات الحسية والبصرية التي تتوسل كذف الرهبة في قلوبهم تارة واستندار عاطفتهم الحارة تارة أخرى. من هنا، فإنّ التشديد المُضطرد على الأسلمة يعكس في جانب أساسيّ منه رغبة محمومة لجارة المنافسة الشديدة في سوق المنتجات الدينية الكبير الذي تعرضت مراكزه التقليدية للأكل، وأصبح أكثر سيولة وتشعباً، حتّى لو كان ثمن هذه الرغبة اندفاع «حماس» للانفعال على استثمار الأموال والوقت والموارد البشرية، والمزايدة على القوى السلفية الوهابية والتماهي معها في الوقت نفسه في إنتاج خطاب دعويّ رث لتطارد بها شياطينها المخيلة، متغافلة عن سُياطين الفقر والعموز والبؤس التي تُدْمي وجه غزّة وأهلها كل صباح.

### رامي خريس

باحث اقتصادي من فلسطين

في أوساط الطبقات الوسطى، وعليه، شكلت هذه الاحتجاجات مجتمعة رأس مال نهائياً سابقاً ارتكزت عليه الموجة الجديدة. لكن الأهم من ذلك أنّ هذا الحراك، وقد أعاد للأذرة سيناريو الحراك الثوري في 2010 / 2011، يؤكّد أنّ خرابطة التعينة في تونس، كما ارتسمت منذ خمس سنوات، ليست عرضية بل هي معطى سياسي، وهو في جوهره انعكاس لتطور في جغرافية الفعل الاحتجاجي كما رسمته أنماط تأطير وهوية الفاعلين في كثير من النزاعات الاجتماعية التي حكمت السنوات الأخيرة لنظامي بقرية وبين علي.

إذ دشنت انتفاضة الخبز في كانون الثاني/يناير 1984 التي قامت غداة قرار السلطة آنذاك زيادة سعر الخبز ورفع الدعم عن مواد الاستهلاك الأولية، علامة فارقة عن بداية تطور «سياسة النزاع» في تونس، وبروز فاعل اجتماعي من خارج مؤسسة التأطير الاحتجاجي التاريخية المتمثلة في الاتحاد العام التونسي للشغل، بفعل الإنهاك المتواتر الذي تعرضت له، لا فحسب جراء الضربات المتلاحقة التي وجهت له منذ نهاية السبعينات بل كذلك نتيجة الإجماع التصاعدي لسياسات الخصخصة الاقتصادية التي أضعفت قطاعات عمالية كانت خزناً بشرياً له. بالتوازي، أفضى التحزير الاقتصادي إلى تآقاف الطوبية في شرائح اجتماعية واسعة، وتعطل أفق الارتقاء الاجتماعي الذي كان يوفره فيما مضى التعليم، وكان لهذه السياسات الاقتصادية الوقع الأكبر في المناطق الداخلية المهشمة تاريخياً والتي ضاعفت سنوات بن علي من معاناتها بتقويض ما تبقى من «الدولة الاجتماعية» فيها.

في الفترة الأخيرة من حكم بن علي، تعاقبت انتفاضات الهوامش التي واجهها النظام آنذاك بالقبح الشديد في محاولة لإخمادها، فكانت انتفاضة مدينة الذهبية الفقيرة والصغيرة في 2007 وهي تقع على الحدود مع ليبيا، ثم انتفاضة الحوض المنجمي في 2008، جنوب غرب البلاد، فانتفاضة مدينة بن قردان وهي الأخرى حدودية، في 2010. سجل هذه الانتفاضات شكلت مقدمات ما سيحدث في 2011. وهذا يتكرر في 2016 وإن بشدة أقل، ونعني بذلك تشكل الهوامش الحضرية وشبه الحضرية كضياء رئيس للاحتجاج الاجتماعي على الشرخ المناطق الذي تأسست عليه الدولة الحديثة، والتحدت في اطاره نخيها، وكمنتج مركزي لفردات الصراع الاجتماعي، وذلك باستقلالية نسبية عن الأطر التقليدية للتعينة، الحزبية والنقابية.

## الهوامش رافعة الحراك الاحتجاجي في تونس

سببيلة، ماجل بلعباس، جديان، سبببة، فريانة، العيون، القصرين، مكناشي، القيروان، جندوبة، توزر، القصور، الدهمان، جينبنة، عقارب، مئزّ بوريان، القطار، تاجروين... هي لن لا يعرف تونس أسماء مدن وبلدات يجمع بينها احتلالها «الجزء السفلي من التسلسل الهرمي لسلم القضاء»، استعارة لتعريف عالم السوسولوجيا «لويك فاكأن» لتعيين وضع النبوذيين في المناطق الحضرية، كما يوحد بينها في الأشهر الأخيرة احتضانها لحراك اجتماعي عنيد أخذ شكل اعتصامات غير مسبوقه إن من حيث حجمها أو لطول نفسها، ينظمها شباب من المعطلين عن العمل في مرقح الاعتماديات أو الولايات للمطالبة بحقهم في العمل والتنمية لمناطقهم، أو في العاصمة قبالة بعض الوزارات، خصوصاً تلك التي تشرف على التنمية الاجتماعية والاقتصادية، أو في الساحات كما هو الحال مع اعتصام مجموعة من شبان القصرين المرابطين امام وزارة التشغيل في العراق منذ شهرين.

موجة الاحتجاج هذه انطلقت مع منتصف شهر كانون الثاني / يناير الماضي، غداة استشهاد الشاب المعطل عن العمل رضا اليحيوي الذي سقط من عمود كهربائي امام مقر ولاية القصرين كان قد اعلاه احتجاجا على تلاعب مسؤولين محليين بقائمة أسماء شبان من الجهة كان سيتم انتدابهم للعمل. ما أعقب استشهاده رضا أعداد إلى الذكرة الجمعية سيارتي بدايات الثورة في تونس، ففي غضون بضعة أيام، وبعد أن اشتعل فتيل الاحتجاج في مدينة القصرين وخرج الألاف من سكانها، رجلا ونساء – أجمعت بعض المصادر المحلية على أن عددهم فاق من شاركوا في انتفاضة كانون الثاني/ يناير 2011 – تنديداً بالفساد المؤسساتي ومطالبة بالتشغيل والتنمية في جهتهم، عم الحراك مختلف معتمديات الولاية لينتقل بعدها إلى مناطق داخلية أخرى كسيدي بوزيد، قفصة، جندوبة، سبببلة، الكاف... قبل أن يتحول إلى أحياء شعبية في تونس العاصمة ليبلغ بذلك ذروته.

### «الوحدة الوطنية» وسائر التكتيكات

زخم الحراك في أيامه الأولى، واتساع رقعة انتشاره بشكل سريع، أضعف شعار «الوحدة الوطنية» الذي رفع في مواجهة الخطر الإرهابي، واعتمد منذ 2013 كحجة رئيسية لشرعية أداء النخب الحاكمة، ما أعاد للسلمح لإحاح المسألة الاجتماعية العالقة في البلد. فكانت المفارقة أنّ



43 في المئة من سكان المغرب في مختلف المحافظات غير راضين عن المساكن التي يقطنون فيها لجهة افتقارها للمرافق الضرورية والمساحات الخضراء، حسب دراسة رسمية لوزارة الإسكان. وتشمل الدراسة السكن المشيد بشكل قانوني فقط، ولا تخص دور الصفيح التي تنتشر بعدد من الأحياء العاشمية في المدن.

## وسائل التواصل بوصفها انفصلاً

لذاته. ومناهة مجتمعات تتفاخر بإعادة إنتاج مخاوفها وعقدتها الطائفية والمذهبية والقبلية.

حل الخوف مكان الحب، واجتاحت المظالم بقعة العدالة المتراجعة أصلاً، انتهكت خصوصيات البشر، وتراجعت مناسيب الثقة وحسن الظن في الأفكار والشخص. وعوضاً عن تفكيك وفهم كل ذلك، يرفض جهاز القذائف المتعاطف هذا، حتى المراجعة والنقد والتقييم، بل يستمر في انتعاج تقنيات وطرق وغرائب منحازة إلى القوي دون الضعيف، وإلى الجاهل دون العارف. وبدلاً من الحفر عميقاً في معرفة أسباب أي مشكلة تواجهنا، نشغل حواسنا بتلك الرغبة الهلامية من أرقام المتابعين والمعجبين، وعدد إعادات التدوير والمشاركات التي تولد في الداخل ذلك المزيج المتناقض من الزهو والتأثير والتعاليم والتعالي، مع الخوف والخشية من الإهمال والتخلي.

وتتنازل التناقضات وراء التناقضات أمام هاتين العينين، ومن ورائهما الدماغ الذي يستقبل كل هذه الإشعاعات بكل حمولتها. قذائف متوالية القصف، قصف الذهن المستسلمة للاستقبال، والأدمغة المتحفزة للاستفزاز والإثارة وليس للتساؤل والتأمل.

\*\*\*

كيف باتت هذه الوسائل بوابات مفتوحة للسجون والتعذيب؟ كيف صارت هذه الوسائل سجلات توثق فذاخ الكلام وما تخفي النوايا في الصدور؟ كيف أقنعنا بأنها وسائل تواصل اجتماعي بينما هي إلى الانفصال أقرب؟ انفصال عن الفعل الحقيقي والمؤثر في الميدان، وانفصال عن تحمل مسؤوليات قول الحقيقة.

ثم:

كيف يمكن التعلم بالغمز؟ كيف يتسع التأمل بالانشغال؟ كيف يُمارس الحوار بالصراخ المكتوم؟ كيف تحولنا من فكرة الكلام مع بعضنا إلى الفرق في الكلام عن بعضنا؟ كيف استهزأنا بكل شيء، وعلى كل شيء؟ كيف أضحي الواحد منا بغيره في كل شيء، من اقتراح التشكيكية الأنسب لفريق برشلونة لكرة القدم إلى الاقتراح لعلماء الفضاء أفضل السبل لدراسة كوكب عطارد!

كيف ذبلت الروح، وتورمت الأنا دون أن ننتبه لعداثة كهذه. كيف تسربت الأوقات من العمر كتسرب المياه من بين الأصابع. هذه الأصابع التي حلت محل اللسان في التعبير والتقدير وفي ممارسة الجرائم أيضاً.

نعم، وفرت التقنية هذا الكم الوافر والمفتوح والمجاني من الفرص في التواصل والاتصال بالآخرين والتي فتحت سبواً جارية من كل شيء وعن أي شيء: المعلومات، الأخبار، المعارف، الآلام، السررات، النائم، الإشعاعات، الماهي والماسي... لكن من المسؤول عن بلوغ الحد الذي يفقد فيه

ما سيلي ليس موضوعياً، ولم أخضعه لدراسة عميقة أو مقارنة سايرة للأثر والتأثير. ولحبي «تقسيم الكؤوس»، هو انحياز للجزء الفارغ من الكأس، لأن الخواء لا الامتلاء هو ما ينذر بتيجر الباقي.

الشاعر الإسباني الأندلسي أنطونيو ماشادو يقول: «يرتسم الطريق أثناء السير فيه». لذا فإن ما سيلي ليس أكثر من تجربة ذاتية خاصة، تخصني وحدي، خضتها طوال أربع سنوات مع وسائل التواصل والانفصال الاجتماعي. عشتها بكل ما فيها من طراوة النشوة وفضالة الألم. وهي لا تدعي الحقيقة، ولا تسمى لإثبات اطروحة عامة، وليست موجحة لأحد. هي تساؤلات مفتوحة، ظلت تؤرقني فترة ليست بالقصيرة، وددت مشاركتها مع من أراد. وأنا أعاد هذا العالم الفاتن والأسر بكل ما فيه، خوفاً من أن أكون مأسوراً ضمنه. قد يشترك معي فيها البعض، وأما اختلاف الأغلب فهو ما أتوقفه بحكم الغلبة وسيطرة هذه الوسائل على العقول والقلوب.

يرعب وجداني أن أكون تحت وطأة عبودية فكرة. فكيف يكون الوضع تحت سلطة وسيلة؟ أتخيل نفسي - وأنا كذلك - ناطراً للعالم برحابته من عين أبرة. وريداً، وجدت أن عين الإبرة تلك غدت هي العالم، ولا أرى بقية إلا من خلالها وعبرها، وبمقاساتها وشروطها. وهكذا، دونما مقاومة، وجدت نفسي تحت تصرف هذه الوسيلة التي لم تكن موجودة في حياتي قبلًا، وسيلة تستحوذ على أمتع ساعات يومي، متعلق بها دائماً، أتحين الفرص لأحتضنها وأمنحها كل اهتمامي بلا تردد، أرحب بكل رسائلها، أحرص على قراءة كل ما تصدره من معلومات، مشدوداً لكل شاردة وعبارة، وبمقاساتها وشروطها.

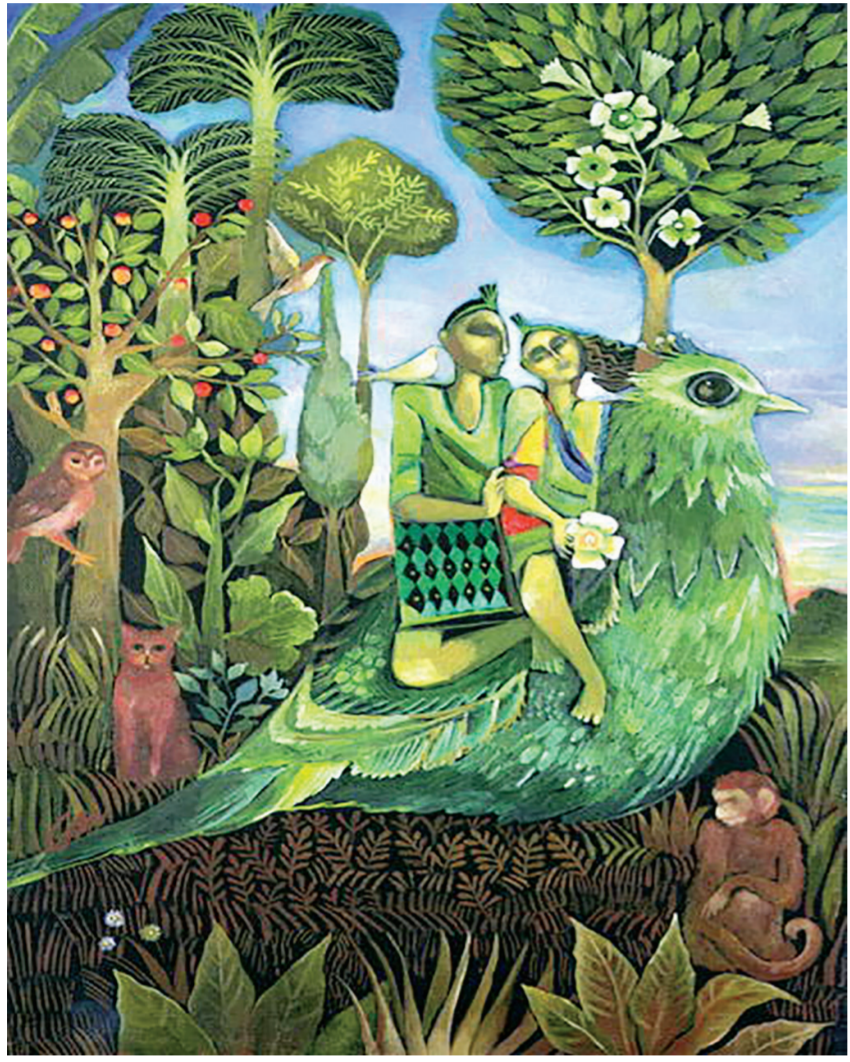
وهكذا صيرتني كائنًا غريباً. كائن يتوسل الإعجاب ويتربح التقدير، كائن مخطف عن الحياة وهو في الحياة، بيتاع الاستفزاز والسباب المفتوح من مجهولين لا يعرف هل هم بشر بمشاعر وأحاسيس أم برامج رقمية مبرمجة على الإساءة والبذاءة والأذى تارة، وعلى المديح والتمجيد والثناء تارة أخرى. كائن فاقد لحرارة اللحظة وانتيابها الفكرة، محشو ببرودة التكرار وسكون الاعتقاد... مشوه الخيال مشغول البال، لا يملأ ذهنه إلا المزيد من الافتراضات غير المبنية على حقائق. قلت افتراضات، لا هي أقرب إلى ادعاءات.

ادعاءات بالفضيلة، بالعرفه، بالإيمان، إجابات تتوالى بلا تساؤل ولا شك، ولا حتى إتاحة الفرصة لتحين لحظة الضرورة، لحظة لإلتقاط الأنفاس، لفهم كل هذا الكم غير المتناسق ولا المترابط بسياق أو نتيجة.

كنت أحاول إقناع نفسي بأن النتيجة هي الوعي، الوعي بالذات والوعي بالجموع، لكنني لم أمس تقدماً في وعي، ولم أفهم الجموع بعد، وزيادة عليهما تعمقت المتاهة: متاهة فرد متختم بصوات غيره، متماد في تمثلات مضللة

سعاد العطار / العراق

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»  
- من حسن: النسوية والتمويل الأجنبي - هدير الهدوي  
- بوتطبيق: الفساد والمباهن به والشياطين الخرساء - ياسين تمللي  
- الحرب ندية فوق مقاعد الدراسة في سوريا - أيمن الشوفي  
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi  
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

سعيد سلطان الهاشمي

باحث من عُمان

## في فلسطين: موسيقى في المدرسة

.. بألف كلمة

في فلسطين، رغم كل ظروف الاحتلال، ما زالت ترتفع الموسيقى من مكان ما.. هذه المرة من مدرسة مختصة بتعليم الأطفال المكفوفين بالضفة الغربية. يعتمد المعلمون والمعلمات فيها التعليم بوسائل بديلة لتقديمها الموسيقي، لتحفيز حاسة السمع بشكل أساسي، بالإضافة إلى الوسيلة التقليدية التي تعتمد على اللمس (الكتب المطبوعة بطريقة برايل). يؤكد المشرفون أن الموسيقى تحسن المرونة العصبية وقدرة الدماغ على التكيف والتغير، ما يؤدي إلى نتائج أفضل، كما يظهر الطلاب حماساً خاصاً لهذا النوع من النشاطات.

(تصوير: عمار عوض - فلسطين)



لم يعرفا

هل هو المحيط الفاسد؟

مدونات

«ما لي شغل بالسوق»

كانا يُمضيان ساعات على العاتف الأرضي، يتحدثن ويضحكان ويتذكران أيام «البلاد»، في التسعين من عمرهما، صديقان وجاران في أيام «البلاد» وصديقان وجاران في ما بعد البلاد (أي المخيم). بعد أيام البلاد، كلاهما أصيب بسلطان العظام، أحقاد الأول بالاتفاق مع أحقاد الثاني اتفاقاً على خطة لتجنبهما رعب اقتراب النهاية: الأول يعرف أن الثاني مصاب بالسرطان، والثاني يعرف أن الأول مصاب به، كلاهما يعرفان أنهما معاً مصابان فقط بالتهابات في العظام، يتحدثن عن التهاتبات ما قبل المخيم، فيتفقان أن مجرد الحياة هناك كانت أفضل لقاح ضد الانتهاب ويضحكان. «يا أخي شو هالصدفة أنه أنا وأنت نصاب بالتهاب بالعظام؟» يقول أحدهما للآخر، ثم فجأة يصمتان، ثم فجأة مرة أخرى، يتحدث كلاهما للآخر بمرح وهو مشفق عليه سرّاً لأنه سموت قبله.

بعد أن يغلقا الهاتف، كان الأول يقول لأحفاده: «مسكين السرطان نهش عظامه وهو يفكره التهاب»، وكان الثاني يكرر الجملة نفسها عن صاحبه.

بعد ستة أشهر توفت رنين العاتفين، فقد مات الأول.. عاش الثاني ستة أشهر أخرى، مات بعدها، دفن الثاني قرب الأول تماماً. فيما بعد، استلم أحقاد الأول والثاني فاتورتي هاتفي الجديين...

من صفحة زياد خداهش (عن فايسبوك)

لا عتب على كلام الذين يمارسون جلد الذات في مقالاتهم عن مجتمعنا المنهار (... الذين يلومون الأفراد لضعف الأخلاق، فالظاهر واضحة والانحطاط مرتسم على وجوه الفاسدين. والنصائح تأتي بالالتزام بالتعاليم الدينية وبالتقاليد والشرف والأخلاق والثقافة (...). لكنها صفات تبقى محصورة في سلوكيات الأفراد وطرق تفكيرهم وليس في أسباب هيكلية... وليس الانتباه الزائد للأسباب الأخلاقية والفردية محصور في العراق والعراقيين فقد انتشرت في وسائل الإعلام حكاية ذات صلة، والسرد كان حول خبير اقتصادي في دولة أفريقية كثر فيها الفساد، أشار على حكومتها أن ترفع مستوى الدخل للأجهزة الأمنية والموظفين المرتشين بحيث لا تكون حاجة الأفراد للمال هي الدافع والذريعة لقبول الرشوة، وكانت المفاجئة أن المرتشين لم يتوقفوا عن تلقي رشواتهم بعد زيادة رواتبهم بل أصبحوا يطالبون بمبالغ أكبر..

العربي الذي عاش جل حياته في محيط فاسد لا يستمر فساداً حين يغادر إلى بلد الهجرة، ولا ينشئ أبناءه في المهجر على الفساد... وبالعكس، فالأميركي أو الأوروبي حين يحل بيننا قد نجده وقد تحول إلى سارق ومرتش وكذاب، والسبب بسيط وواضح: لا يوجد حساب ولا قضاء، وإن وجد فسوف يطبق في الخارج في بلد الأجنبي الأصلي وليس في العراق.. العامل الأهم في سلوكيات الأفراد هو في فعالية مؤسسات الدولة، أي في هيكل المجتمع الذي يعيشون فيه.

من مدونة «فيصل قدي» العراق <http://montrealiraqi.com>

من صفحة Samah Aziz العراق (عن فايسبوك)